

## الفصل العاشر

### فتاة الحارة

كنا غلامين صغيرين وجارين صديقين، وكنت أنا أسن منه قليلا.. ولكن الفرق كان فرق شهور لا تُقدّم ولا تؤخّر، لا فرق سنوات تباعد بين الناس. وكان الوقت صيفا والمدارس مغلقة، فلا عمل أكثر الوقت إلا اللعب في الشارع. وكان يفصل بيتنا بيت صغير لأرملة وبنتيها، وإحداهما في مثل سننا والأخرى أكبر بسنوات وأضخم جسما، وكنت أسمىها فيما بينى وبين صديقى «السقاء» لأن ثدييها كانا — فيما يبدو لى — كالقربتين. ولم أكن أرتاح إليها، ولكن أختها الصغيرة كانت أثيرة عندى وحبيبة إلى ... فكنت لهذا أصانعها، ولكن صدرى كان يضيق بها أحيانا فأغضبها وأمرى إلى الله. وكنت إذا زجرنى أهلى عن اللعب في الشارع، وملوا ترقيع الثياب التى ألبسها فى الصباح نظيفة سليمة فلا يجىء العصر إلا وهى ممزقة وعليها طوائف شتى من الأوجال والأقذار.. أقول كنت إذا نُهيت عن الشارع، أأصعد إلى السطح وأتدلى منه إلى سطح الفتاة وأصفر لجارى فيوافينا، ونحدر جميعا إلى غرفة من غرف البيت أو إلى فناءه — وكان رحيبا — فنلعب ما حلا لنا اللعب حتى إذا أمسى الليل تفرقنا إلى بيوتنا. واتفق يوما أن كانت الفتاة معى فى ساحة الدار، وكنت قد تخلفت بعد زهاب صديقى وصعود الأخت الضخمة — أو «السقاء» كما كنت أسمىها — وكان باب البيت مواربا، فطوقتها — أعنى البنت الصغيرة لا السقاء — بذراعى وقبلتها، وكانت فيما أحس تلين لى فى العناق، ولكنها عبست فجأة وتفلتت منى ودفعت ذراعى عنها بعنف، وذهبت تعدو إلى السلم.. فتعلقت بأذيالها، ولكنها شدت الثوب أو على الأصح ضربته بيدها، فطار من يدى وصعدت بسرعة، وتركتنى واقفا أنظر وأتعجب.